وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الأول

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ إقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطبّي للتمر (الرطب) لسيّدنا الإمام عليّ عليه السلام ١١

أ. د. محمد جياد النعيمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافيّة في اللسانيّات الاجتماعيّة ٦٥

أ.د حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدوّنات القرآنيّة..... ١٧٧

أ.د. سليمة جبّار غانم

منهجُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم..... ٢٠٧

أ. د. سميّة حسن عليان

الأثر القرآنيّ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاويّ

الشاهدُ القرآنيُّ مقتضًى إقناعيٌ في خطبةِ الديباجِ للإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيديّ ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حِلِّيَّة المطعوم وتحريمه فيما رُوِي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبيت مصداقًا ٣٥٥

أ.د. علي نيكوكار

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ.... ٤٠٧

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي/ آسيا عبد الله أحمد

المُشيراتُ القرآنيَّةُ في الخُطبِ العلويَّة (قراءَة معرفيَّة جديدَة في الدّراسات اللسانيَّة)... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالميّةُ الخطابِ العلويّ من منطقِ القيمِ القرآنيّةِ إلى منطقِ نشرِ القيم..... ٤٥٥

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي/ أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصاديّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان مُيَّسر الحامد

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام

أ.د. دلال عبّاس
الجامعة اللبنانيّة

الملخّص:

ترتبط التربية بالتعليم ترابطًا عُضويًّا، بل هما متلازمان تلازمًا شرطيًّا، وأنّهما قضيّةٌ واحدةٌ لا قضيّتين. أمّا تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرّغم من أنّ التربية لا تتحصّل إلّا من خلال عمليّة التعليم، تبقى عمليّةُ التعليم قاصرةً ما لم تتحقّق من ورائها عمليّةُ التربيةِ، فالتربيةُ هي الهدفُ النهائيُّ للتعليم.

ففي التعليم يؤخذ في الحسبان بعدٌ واحدٌ هو البعدُ المعرفيّ والعلميّ، ولكنَّ التربيةَ شاملةٌ ومتعدّدة الجوانب، ولها بعدٌ أخلاقيٌّ وسلوكيّ.

لقد أكّد القرآن الكريم على قابليّة الإنسان للتربية، والقرآن نفسُه الذي هو بحدّ ذاته كتابٌ تربويٌّ، يبيّن من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقيّة والفرائض والأحكام أنّ لدى البشر قابليّات الوعي وتلقّي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، وقد سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهميّة التعليم من خلال التمثيل والقصص.

وكذلك فإنّ أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام تؤكّد على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطَبين العقلي وقدرة كلٍّ منهم على استيعاب ما يُلقَّنَهُ، كبيرًا كان أم

صغيرًا، والصغير حتمًا أولى بالعنايةِ، والاهتمام به فردًا مستقلًّا عن الآخرين: إنسانيًا ومِزاجيًّا وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلًا فرضُ نمطٍ تعليميٍّ أو تخصّصيّ ـ كانوا هم يحلمون به ـ على ولد غير مؤهّلٍ له؛ وفي الوقت نفسه لا يعني هذا الكلام أن يُترك له الحبلُ على غارِبِه.

الكلمات المفتاحيّة: التربيّة والتعليم، النّصّ القرآني، تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام.

Abstract:

Education and teaching are organically linked; in fact, they are conditionally inseparable, representing a single issue rather than two. As for prioritizing the term "Education" (Tarbiyah) over "Teaching" (Ta'lim), although education is only attained through the teaching process, teaching remains deficient unless the educational process is achieved through it. Thus, education is the ultimate goal of teaching.

While teaching focuses on a single dimension—the cognitive and scientific—education is comprehensive and multifaceted, encompassing ethical and behavioral dimensions.

The Holy Qur'an has emphasized human educability. The Qur'an itself, being an educational book, demonstrates through parables, wisdom, stories, moral teachings, and religious obligations that humans possess the capacity for awareness, acquiring knowledge, and reforming behavior and logic. In this regard, the Holy Qur'an preceded Western psychologists and educators in emphasizing the importance of teaching through analogies and storytelling.

Similarly, the traditions of Imam Ali (PBUH) stress the importance of considering the intellectual level of the audience and

their individual capacity to comprehend what is being taught, whether they are old or young. Children, certainly, deserve the utmost care, being treated as independent individuals—humanly, temperamentally, and intellectually. This involves creating suitable conditions to develop their minds and talents. For instance, parents must never impose a specific educational path or specialization—one they perhaps dreamed of for themselves—upon a child who is not qualified for it. At the same time, this does not mean leaving the child without guidance or supervision.

Keywords: Education and Teaching, Qur'anic Text, Teachings of Imam Ali (PBUH).

المقدّمة:

حين نستقرئ تعاليمَ القرآن والسنّة النبويّة الصّحيحة، وما ورد عن الإمام عليّ وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، نستنتجُ أنّ عمليّةَ التربية والتعليم في الإسلام عمليّةٌ مستمرّة من المهدِ إلى اللحد، وهذه العمليّة تبدأ قبل الولادة وبعدها وفي مختلِف مراحل العمر، وتقع على عاتق الأهلِ والمعلمين والعلماءِ والمصلحين. وقد وصف إمامُ المتّقين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام الإسلامَ بإنّه دينُ الله الذي اصطفاه لنفسه، ثمّ جعلَهُ لا انفصامَ لعُرْوتِه، والله عزّ وجلّ وصف القرآنَ بقولِهِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨] وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: أنا والله خاتَمُ النبيين والمرسَلين والحُجَّةُ على جميع المخلوقين من أهلِ السماوات والأرضين؛ وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ مَثَلي ومثلَ الأنبياء من قبلي كمَثَلِ رَجلٍ بنى دارًا فأتمّها وأكمَلها إلّا موضعَ لَبِنَةٍ من زاوية، فجعل الناسُ

يطوفون به ويعجَبون له، ويقولون: لولا موضِعُ اللَّبِنَة!

ويسعى البحث إلى تسليط الضوء على قضيّة التربية والتعليم وعناصرها ووسائطها في ضوء النصّ القرآنيّ وتعاليم أمير المؤمنين عليه السلام اعتمادًا على المنهجين الوصفي والتحليلي.

ويهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية، وما يتفرّع عنها وصولًا إلى النتيجة المبتغاة.

* هل التعليم والتربيّة عمليّتان منفصلتان أم مترابطتان، ولماذا قُدّمت لفظة التربيّة على لفظة التعليم؟

* ما هي قيمة العلم والمعرفة والتوجيه والإرشاد والتزكيّة في النص القرآنيّ وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام.

* متى تبدأ عمليّة التربيّة، وما عناصرها ووسائطها؟

* ما الأبعاد الفرديّة لعمليّة التربيّة والتعليم عقليًّا وعاطفيًّا وسلوكيًّا، وما أبعادها الأسريّة والاجتماعيّة في النص القرآنيّ، وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام؟

* ما هو دور الأهل والمؤسّسات التعليميّة في عمليّة التربيّة، وما هي أهميّة القدوة والرموز في عمليّة التربيّة والتعليم؟

وقد قُسّم إلى مقدّمةٍ ثمّ عرض لمحاور البحث، تليها خاتمة تضمّنت أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث، ثمّ قائمة بالمصادر والمراجع.

ما التربية والتعليم؟

هل التربية والتعليم مفهومان مستقلّان عن بعضهما أم متلازمان؟ إنّ ورود لفظتَي التربية والتعليم معًا كأنّهما مصطلحٌ واحدٌ، يعني أنّهما متلازمان تلازمًا شرطيًّا، ومترابطان ترابطًا عُضويًّا، وأنهما قضيّةٌ واحدةٌ لا قضيّتين. أمّا تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرّغم من أنّ التربية لا تتحصّل إلّا من خلال عمليّة التعليم، تبقى عمليّةُ التعليم قاصرةً ما لم تتحقّق من ورائها عمليّةُ التربيةِ، فالتربيةُ هي الهدفُ النهائيُّ للتعليم.

التربية:

لُغةً: مشتقَّةٌ بحسب معجم مقاييس اللغة ((من الجذرين (أَ رَ بَ) و (رَ بَ أَ) اللذين يدلّان على أصلٍ واحدٍ وهو الزيادةُ والنماءُ والعُلُوّ، ويُقال ربَّيتُه إذا غَذَوْتُه، وهذا ممكنٌ على معنيين أحدهما أنّه إذا رُبِّيَ نما وزكا وزاد، والآخر من التربيب، ويجوز أن تكون إحدى الباءات ياءً والوجهان جيّدان))[1]؛ والتربية بحسب المصباح المنير: ((من (ر ب و)، والرّبا: الفضل والزيادة، وهو مقصورٌ على الأَشْهَرِ، ورَبِيَ الصغيرُ من باب تعِبَ، و ربا يربو من باب عَلا: إذا نشأ، ويتعدّى بالتّضعيف، فيقال: ربّيْتُه فتربّى))[2]، وفي تاج العروس: ((ر ب و – ربا الشيءُ رُبُوًّا، أو رِباءً: زاد ونما وعلا؛ وأربيتُه: نمَّيْتُه وهو الصواب، وربّيتُه تربيةً، أي: غَذَوْتُه))[3].

أمّا التربية كما عرّفها المُحْدَثون فهي ((تنمية الوظائف النفسيَّةِ بالتمرين حتى تبلغَ كمالها شيئًا فشيئًا، تقول: ربّيتُ الولدَ إذا قوّيتَ ملكاتِه ونمّيتَ قدراتِه، وهذّبت

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٨٣.
(٢) المصباح المنير: ٢/ ٢١٧.
(٣) تاج العروس: ١٩/ ٤٤٣.

سلوكه، حتّى يصبح صالحًا للحياةِ في بيئةٍ معيّنة، وتقول: تربّى الرجلُ إذا أحكمتْه التجاربُ ونشّأَ نفسَهُ بنفسِه))[١].

لم ترِد كلمةُ التربية بصيغتها المصدريّة في القرآن الكريم، وإنّما وردَ الفعل ربّى بالمعنى الماديّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]، وعن الوالدين: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٤].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((إنّ الله ليربّي لأحدكم الصدقة كما يُربّي أحدُكم ولدَه، حتّى يلقاه يوم القيامةِ وهو مِثلُ أُحُدٍ))[٢]، وعن عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام عن الرسولِ صلى الله عليه وآله: ((فتصدّقوا ولو بشِقِّ تمرة... فإنّ الله يُربّيها لصاحبها - كما يُربّي أحدُكم فِلْوَهُ أو فصيلَهُ... حتّى تكونَ أعظمَ من الجبل العظيم))[٣]، وعن علّي بن أبي طالب عليه السلام في مدح الأنصار: ((هم والله ربّوا الإسلامَ كما يُربّى الفِلْوُ...))[٤].

أمّا مصطلح التربية فنجده فيما بعد في كلام الإمام زين العابدين والأئمةِ من بعده عليهم السلام، إذ يقول الإمامُ زين العابدين عليه السلام في دعائه لأبويه: ((اللهمَّ اشكرْ لهما تربيتي... أينَ إذًا يا إلهي طولُ شُغلِهما بتربيتي؟))[٥]؛ وفي دعائه لأولاده: ((وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبِرِّهم))[٦]. وعن موسى الكاظم عليه السلام: ((ثمانيةُ أشياء من كنّ فيه أدخله الله الجنّة ونشر عليه الرحمة: من آوى اليتيم وبَرَّ والديه، وأحسن تربية

(١) المعجم الفلسفي: ١/ ٢٦٦.
(٢) تفسير العيّاشي: ١/ ١٥٣.
(٣) تهذيب الأحكام: ٤٥٨.
(٤) نهج البلاغة: ٥٥٧.
(٥) الصحيفة السجّاديّة: ١٥٢، والدعاء: ٢٤.
(٦) م. ن: ١٥٦، والدعاء: ٢٥.

وُلْدِه، ورَفَقَ بمملوكه...))[١]، وعن الحسن العسكريّ عليه السلام: ((ومن رحمته (أي: الله عزّ وجلّ)... أنّه جعل القوّةَ في أمّهِ (أي: أمّ الإنسان) ورقَّقَها عليه لتقومَ بتربيته وحَضانته، فإنْ قسا قلبُ أمٍّ من الأمّهاتِ، أوجب تربيةَ هذا الطّفل وحَضانته على سائر المؤمنين))[٢].

وكذلك ثمّة كلمات أخرى في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام مثل: إرشاد وتأديب وتزكية ودلالة وهداية، يقارب معناها إلى حدٍّ كبير معنى كلمة تربية، لا مجال في هذا البحث للتوسّع فيها.

أمّا في علم النفس فتُعرّف التربية بـ((أنّها عمليّة منتظمة أو مستمرَّة تهدف إلى توجيه النموّ البدني والعقلي والنفسي أو بشكلٍ عام لتوجيه التنمية الكاملة لشخصيّة الأفراد في اكتساب العلوم البشريّة وفهمِها وفهمِ المجتمع للمعايير، فضلًا عن المساهمة بازدهار مواهبهم))[٣].

التعليم:

لغةً: بحسب الفراهيدي من ((عَ لِ مَ يعلمُ علمًا، نقيض جَهِلَ ... وأعلمتُه بكذا، أي: أشعرتُه، وعلَّمتُه تعليمًا))[٤]، وبحسب ابن منظور من: ((عَ لِ مَ ... العلم نقيض الجهل ... وعلمتُ الشيء أعلمُه عِلمًا: عَرَفتُه ... وعلَّمه العلمَ وأعلَمَهُ إيّاه فتعلَّمهُ ... وعلَّمتُهُ الشيءَ فتعلَّمَ ... والتشديد هنا ليس للتكثير))[٥]، وفي القرآن وصفَ الله عزّ وجلّ نفسَه على أنّه المعلّم، وهذا تأكيد على أهميّة التعلّم والتعليم:

---

(١) معدن الجواهر: ٦٤.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٤.

(٣) علم النفس التعلّم والتعليم: ٣٧.

(٤) كتاب العين: ٢/ ١٥٢.

(٥) لسان العرب: ٢/ ٨٧٠.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣-٥]؛ و﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]؛ و﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦]. ووصف القرآن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه معلّم الناسِ الحكمةَ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]، ومدح العلماء ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وفي الحديث أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: ((إنّ معلّمَ الخيرِ يستغفرُ له دوابُّ الأرضِ وحيتانُ البحر، وكلُّ ذي روحٍ في الهواء، وجميعُ أهلِ السماءِ والأرضِ))[١]، وقال: ((مَن كانت له ابنةٌ فأدّبَها وأحسنَ أدَبها وعلَّمها فأحسنَ تعليمها، كانت له مَنعةً وسترًا من النار))[٢]، وهذا تأكيدٌ على وجوب تعليم البنات في عصر كان أهلُه يئدون بناتهم؛ وقال صلى الله عليه وآله: ((مَن كانت له جارية فأدّبها، فأحسن أدَبها وعلَّمها فأحسن تعليمَها، ثمَّ أعتقها وتزوّجها فله أجران))[٣].

ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ من واجبات الحاكم العادل، (وتاليًا مسؤوليّة الدولة) إخراج الناس من جهلهم بتعليمِهم، وتعليمُهم يكون هدفُه المعرفة: ((أيّها الناس ... أمّا حقّكم عليَّ فالنصيحةُ لكم وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبُكم كيما تعلموا))[٤]، وقال في خطبة الهمّام: ((مذكّرٌ

(١) بحار الأنوار: ٢/ ١٧.
(٢) كنز العمّال: ١٦/ ٤٥٢.
(٣) المسند: ٤/ ٤١٤، والسنن: ١/ ٢٢٩.
(٤) نهج البلاغة: ٧٩.

للعالِمِ، معلّمٌ للجاهلِ))[١]، وقال: ((من نَصَبَ نفسه للناسِ إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليمِ نفسِه قبل تعليم غيرِه، وليكنْ تأديبُه بسيرتِه قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسِه ومؤدّبُها أحقُّ بالإجلال من معلّم الناسِ ومؤدِّبهم))[٢]، وهذا تأكيدٌ على أنّ المعلّم يجب أن يكون من الناحية السلوكيّة قدوة للمتعلّمين، وعلى أنّ التعلّم عمليةٌ مستمرّة طيلة الحياة، والعاقلُ من يعلّم نفسَه باستمرار.

وعن العلاقة بين التربية والتعليم يمكن القول: في التعليم يؤخذ في الحسبان بعدٌ واحدٌ هو البعدُ المعرفيّ والعلميّ، ولكنَّ التربيةَ شاملةٌ ومتعدّدة الجوانب، ولها بعدٌ أخلاقيٌّ وسلوكيّ، والتعليم يقوم به عادةً معلّم في مكان معيّن مثل المدرسة وقاعات التدريس، ويتحقّق التعليم عندما تزداد معرفة الفرد؛ ولكنّ التربية تتحقّق عندما تتجلّى التعاليم في سلوك الفرد؛ وفي الثقافة الدينيّة تعادل كلمة التزكيةِ كلمةَ التربية، أيْ: أنّ من تزكّى فقد طوى درجات الكمال، ولكنّ امتلاك التعليم والوعي غيرُ مساوٍ للكمال، وربّما كان عقبةً خطيرةً أمام الكمالِ البشريّ في ما يتعلّق ببعض العلوم (التي تنتج سلاح الدمار الشامل مثلًا).

إنّ التربية والتعليم مترابطان مفهوميًّا ترابطَ العلّةِ والمعلول، ترابطًا وتواصلًا بَيْنِيًّا، أيْ: أنّهما ليسا عاملين منفصلين، وإنّما يجتمعان في مواقع الممارسة والتطبيق ويتكاملان، فالتربية لا يمكن أنْ تتحقّق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وفي القرآن استُخدمَ مفهوم التزكية الأقرب إلى التربية أربع مرّات مع كلمة التعليم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، جاءت كلمة

(١) الكافي: ٥/ ٢٢٩.

(٢) منية المريد: ١٦/ ١٥٠.

التعليم في دعاء إبراهيم عليه السلام هذا قبل التزكية، إشارة إلى أنّ التعليم مقدّمةٌ لازمةٌ للتزكية، لكنْ في الآيات الثلاث الأخرى جاءت كلمةُ التزكية قبل التعليم للدلالة على أنّ الهدف الأساسيّ هو التزكية:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

إذًا التربية والتعليم عمليّة واحدة لا عمليّتان منفصلتان، والتربية عمليًّا مقدَّمةٌ على التعليم قدْرًا وأهميّةً، وهي الهدفُ الأساسيُّ من التعليم.

ما هي العوامل والعناصر المؤثّرة في التربية؟

أكّد العلم الحديث على أهميّةِ العامل الوراثي مقابل عوامل البيئة والتعلّم والتربية والوالديّة والنموّ، وهنالك أدلّة على أنّ أبعاد شخصيّة الإنسان موروثة، لكنّ الجدلَ بين علماء التربية ينصبّ على مدى تأثير العناصر الوراثية في خيارات الإنسان؛ كما أنّ هنالك كلامًا كثيرًا على تأثير البيئة البيتيّة انطلاقًا من ترتيب المواليد، والموقع في الأسرة، واختلاف البيئات الاجتماعيّة، وتنوّعها، ومستوى التعليم ونوعيّته، والقيم التي يحملها المعلّمون، وثقافة المجتمع، والأحداث الاجتماعيّة الواسعة النطاق والعميقة التأثير، كالحروب والركود الاقتصادي، والخلفية العِرقيّة، وأخيرًا الحِقبة الزمنيّة التي يتربّى فيها الفرد؛ لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تُقسِروا أولادكم على آدابكم، فإنّهم مخلوقون لزمانٍ غيرِ زمانكم))[١].

متى تبدأ عملية التربية في الإسلام؟

تبدأ عمليّة التربية قبل الولادة، بمعنى أنّ الطفل يجب أن يولَدَ من علاقةٍ شرعيّةٍ بين الأبوين، ولذلك جاء تحريم الزّنى في القرآن تحريمًا قاطعًا منذ بداية الدعوة، ولم يأتِ تحريمُه متدرّجًا كما هي الحال في تحريم الخمرة والرقّ، وعن ذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: ((خلق الله الجنّةَ طاهرةً مطهّرةً لا يدخُلها إلّا من طابت ولادته))[٢]؛ ورُويَ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((تخيّروا لنُطفكم فإنّ الخالَ أحدُ الضّجيعين))[٣]، وقال: ((تخيّروا لنُطفكم وانتخبوا المناكح))[٤]، وقال: ((انظر في

(١) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٥٣٦.
(٢) المحاسن: ١/ ١٣٩.
(٣) قرب الإسناد: ١/ ٢٥٩.
(٤) كنز العمال: ٣٠٢.

أيِّ نصابٍ تضعُ ولدكَ فإنّ العِرقَ دسّاس))[١]، وقال: ((انكحوا الأكفاءَ واختاروا لنُطفكم))[٢]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((تزوّجوا في الحُجْرِ الصالحِ فإنّ العِرقَ دسّاس))[٣]؛ ومن حكمة الله البالغة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يُنجب من بعض زوجاته، ولم يعش له من الأولاد إلّا الزهراء عليها السلام التي ولّدتْها السيّدة خديجة عليها السلام؛ وتطالعُنا في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام كيفيّة اختياره لأمّهات أولاده بعد وفاة الزهراء عليها السلام، ونعرف من خلال قراءتنا للتاريخ الإسلاميّ الإساءات التي ألحقها أولئك الذين لم تطِبْ ولادتُهم بالدين وأهلِه و بعامّة الناس.

وكذلك فقد وردت أحاديث للنبيّ صلى الله عليه وآله وللأئمّةِ المعصومين عليهم السلام عن الاهتمام بالحوامل والاحتفاء بالولادة وإقامة وليمة، ومن غُسلِ المولود والآذان والإقامة في أُذْنه، وعن حُسن اختيار اسمه، والعقيقة والختان، وحلْق رأس الطفل والتصدّق بما يوازي الشّعر من وزن؛ كما أنّ القرآن قد حدّد مدّة الرضاعة، ورُوي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((ليس للصبيِّ خيرٌ من لَبَن أمِّه))[٤]؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((تخيّروا للرضاع كما تتخيّرون للنكاح، فإنّ الرّضاعَ يُغيّرُ الطّباع))[٥].

التربية والتعليم والتعلّم عمليّة مستمرّة من المهدِ إلى اللحد:

تبدأ عمليّة التربية كما ذكرنا قبل مرحلة الولادة، إذا أحسن الإنسانُ اختيار الشريك، وبعد الولادة يأتي دور الأسرة في مرحلة الطفولة الأولى، ومن ثمَّ يتشارك الأهل والمدرسة والبيئة عمليّةَ التربيةِ والتعليم؛ وإن تربّى الطفل والغلام على القيمِ

(١) شهاب الأخبار: ٣٠٩.
(٢) الكافي: ٥/ ٣٣٢.
(٣) مكارم الأخلاق: ١٩٧.
(٤) نور الثقلين: ١/ ٢٢٨.
(٥) قرب الإسناد: ٩٣.

السليمة، حرًّا قادرًا على التمييز بين الصحّ والخطأ، وبين الخير والشرّ، سيتمكّن بعد ذلك من تهذيب نفسه بنفسه، وإعادة تقويم سلوكه، إنْ هو أحسن اختيار الذين يقتدي بهم، وعَرف أهميّة المسؤوليّة الملقاةِ على عاتقه في هذه الدنيا، بعد أن يضعَ نصب عينيه أنها ليست إلّا دارَ امتحان وممرًّا إلى الحياة الحقيقيّة.

إنّ القرآن الكريم يؤكّد على قابليّة الإنسان للتربية، والقرآن نفسُه الذي هو بحدّ ذاته كتابٌ تربويٌّ، يبيّن من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقيّة والفرائض والأحكام أنّ لدى البشر قابليّات الوعي وتلقّي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، فالله عزّ وجلّ خلق الإنسان وخلق له القابليّة التدريجيّة للتربية، وما نزول القرآن منجّمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة إلّا ليتمكّن المؤمنون من الالتزام بتعاليمه تدريجيًّا؛ والله عزّ وجلّ قد بعث الأنبياء والرسل والأوصياء لتهذيبِ البشر وهدايتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

يمرّ الأطفال منذ يومهم الأوّل في هذه الدنيا إلى حين بلوغهم سنّ الرشد عبر مراحل متوالية متّصلة، يمكن عدّها فصولًا محدّدةً لتاريخ واحد.

كلُّ مرحلةٍ منها لها بناؤها الخاص، وينبغي للتربية أن تتطابق قدر الإمكان مع هذه المراحل النفسية، فهذا هو السبيل الأوحد الذي يُبرز استعدادات المتربي ويُظهرها. ويمكن الادّعاء أنّ مفهوم المرحلة غدا جزءًا من نظريّة التربية والتعليم الحديثين.

وتأكيدًا على ذلك وعلى أنّ عمليّة التربية عمليّةٌ مستمرّة وغير مرتبطة بعمرٍ معيّن يقولُ أمير المؤمنين عليه السلام الذي سبق كلّ النظريات التربويّة الحديثة: ((يُربّى الصبيُّ سبعًا، ويؤدّبُ سبعًا، ويُستخدم سبعًا ومنتهى طولِهِ في ثلاثٍ وعشرين سنةً

وعقلِهِ في خمسٍ وثلاثين سنة، وما كان بعد ذلك فبالتجارِب))[١]، ومعنى ذلك وجوب التدرّج في عمليّة التربية خطوةً خطوةً، من المهمّ إلى الأكثر أهميّةً، ومن البديهيّ والأسهل إلى الأصعب، ومن المرحليّ إلى طويل الأمد، والله عزّ وجلّ أنزل القرآن المجيد الذي فيه تفصيلُ كلِّ شيءٍ على مدى ثلاثٍ وعشرين سنةً، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ورُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حديثٌ يقارب مضمون حديث جدّه أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: ((الغُلام يلعبُ سبع سنين ويتعلّم الكتاب (في الكتّاب) سبعَ سنين، ويتعلّم الحلال والحرامَ سبع سنين))[٢]، ورُوي الحديث نفسه على نحوٍ آخر: ((دعِ ابنك يلعبُ سبعَ سنين، ويؤدّبُ سبعَ سنين، وألزمهُ نفسَك سبعَ سنين، فإنْ أفلحَ، وإلّا فإنّه ممَّن لا خيرَ فيه))[٣].

وفي هذين الحديثين أوصى الإمام عليه السلام بالنشاط والرياضة في السنوات السبع الأولى بعنوان (اللعب)، وفي السبع الثانية يتعلّم الآداب والعلومَ وفنون الحياة ومهاراتها، وذلك في المدرسة خارج المنزل، وفي السبع الثالثة يجب أن يُعلَّم ما يحبّ وما لا يحبّ من الأقوال والأفعال: فإن قام الوالدان والمعلمون والمربّون في هذه السنوات العشرين وواحدة بما عليهم من وظائف، ولم يبلغِ المتربي ما يُرجى منه من الفلاحِ والنجاح، فلا لومَ عليهم.

وفي ضوء مبدأ التدرّج في رعاية الأولويّات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((العلمُ أكثرُ من أن يُحاطَ به، فخذوا من كلِّ علمٍ أحسَنَه))[٤]،ويقول: ((خذوا من كلّ علمٍ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٩٣.
(٢) الكافي: ٦/ ٤٧، وتهذيب الأحكام: ٨/ ١١١.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٣/ ٤٩٢.
(٤) غرر الحكم: ٩٨.

أحسنَه، فإنّ النحلَ يأكلُ من كلِّ زهرٍ أزيَنَهُ، فيتولّد منهُ جوهران نفيسان: أحدُهما فيه شفاءٌ للناس، والآخرُ يستضاءُ به))[١]، إنّ التمثيل بالنحل في جمع العسل ورحيق الأزهار وإنتاج الشمع والعسل، يهوّن على المربّين الطريقَ الشاقّ في الحصول على أجوَدِ الملاحظات العلميّة والتربويّة، والعمليّة أكثر من غيرها.

لتدريب الطفل على أنماط السلوك الحسنة، يمكن أن نعطيَ مثلًا واحدًا للأهل وللمربّين وللكبار بشكل عام، يكونون من خلاله قدوةً للأطفال الصغار وللفتية، هو موضوع التحيّة والسلام، وقد أمرَ الله عزّ وجلّ الإنسان أن يُسلّم على غيره لتتوثّق العلاقات الاجتماعيّة: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[النساء: ٨٦]، و﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وفي الحديث النبويّ: ((أولى الناسِ بالله وبرسوله من بدأ بالسلام؛ السلام تطوّعٌ والردّ فريضة))[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((إبـدأوا بالسلام قبل الكلام، فمَن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه))[٣]، إنّ تعليمَ الأطفالِ السلام والتحيّة، وتوقّعَ ذلك منهم وِفاق العادةِ الاجتماعيّة المحمودة، أو ردّه عليهم مصحوبًا بابتسامةٍ حنون؛ يؤثّر تأثيرًا شديدًا في بناء شخصيّاتهم. إنّ التحيّة والسلام لَبِنَةٌ صغيرةٌ مؤثّرةٌ في بناء علاقة الطفل بأقرانه وبالكبار. وتصبح هذه اللّبِنَةُ أشدّ صلابةً إن دُرّب الصغار على التسابق لإلقاء التحيّة، بأن يحيّي الكبيرُ الصغيرَ، فيقلّده، وقد رُويَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يسبق الصغار في السلام عليهم، ليكونَ عمله هذا سُنّةً من بعده: رُوِيَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ على صبيان فسلّم عليهم، قال: لا أدَعُ حتّى الممات التسليمَ على الصبيان لتكونَ سنّة من

(١) غرر الحكم: ٣٤٦.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٤٤.
(٣) م. ن: ٢/ ٦٤٤.

بعدي))[1] . كيف يُربّى الطفل ليصبح إنسانًا مختارًا لأفعاله؟

فضلاً عن تدريب الطفل على حسن السلوك منذ الصغر، من خلال تقليد الكبير (المفترض أنّه قدوةٌ له)، يجب تدريبه وتربيته على نحوٍ يكونُ فيه حرًّا مختارًا ذا إرادةٍ، يمكنه أن يميّز بين ما يجب فعله وما يجب تركه. إنّ عمل الأهل والمربّين في الطفولة الأولى على تنميةِ العقل والإرادة لدى الأطفال، هو أهمّ عملٍ يقومون به: فمبدأ الإرادة الحرّة فطرةُ جميع البشر، وهي عطيّةٌ كريمةٌ من الخالق جلّ وعلا، وسلبُ هذه الإرادة (إن استُخدمت أساليبُ تربويّةٌ قمعيّة في المنزل أو في المدرسة في مرحلة الطفولة) سيؤدّي حتمًا إلى مسخ هُويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فالله عزّ وجلّ لا يُحاسبُ إلّا الإنسان العاقل الحرّ المختار؛ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١].

يجب أن يكون الإنسان عاقلًا حرًّا ليميّز بين الخير والشرّ، فيختارَ الأعمالَ الصالحةَ الخيّرة، ويمتنع عن الشرّ وكلّ ما فيه ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ عليه وعلى الآخرين؛ ذلك لأنّ الله عادلٌ وعدلُه مطلق؛ يثيبُ من أثابَ عن بيّنة، ويعاقبُ من عاقب عن بيّنة.

يتوجّب على الوالدين ومن ثمّ المربّين، أوّلًا وقبلَ كلِّ شيء تنميةُ الإرادة لدى الأطفال منذ السنين الأولى، أنْ يُدرّب الطفل على التمييز بين ما يضرّه وما ينفعه، من

(١) بحار الأنوار: ١٦/ ٩٩.

دون قمع أو تعنيف في السنوات السبع الأولى، وحتّى التأديب في السنوات السبع التالية يجب أن يكون بأساليب بعيدةٍ عن التحقير والتعنيف والإذلال؛ لأنّ توفير الأجواء المناسبة لرشد الاطفال وتطوّرهم يمكنه أنْ يحدّ من ظهور العناء النفسيّ والاضطرابات العصبيّة؛ ولأنّ الطبيعة البشريّة مرنةٌ، والإنسانُ حصيلةُ عمليّة التعلّم التي تتأثّر بالمتغيّرات الخارجيّة، والتي يمكنها أن تعدّل إلى حدٍّ ما من العوامل الوراثية: فإن استطاع الأهل والمربّون أن يجعلوا من أنفسهم قدوةً للأطفال يمكنهم أن يؤثّروا في تعديل سلوكهم، وقد أكّدت الروايات والأحاديث على ضرورة ممارسة العدالة في الأسرة، وتعزيز العلاقة القائمة على المحبّة المتبادلة والتعاطف والتراحم بين أفراد العائلة: إنّ علاقة الوالدين وكيفيّة معاملة أحدهما للآخر تؤثّر في نفسيّة الأولاد؛ والتجربة أثبتت أنّ سوء معاملة الزوج لزوجته، تؤدّي إلى الاضطرابات العصبيّة لدى الأطفال لشعورهم الدائم بالخوف، وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((أحسنُ الناس إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وألطفُهم بأهله، وأنا ألطفُكم بأهلي))[١]، وقال: ((اعدلوا بين أولادكم في السرّ، كما تحبّون أن يعدلوا بينكم بالبرِّ واللطف))[٢]، ورُويَ عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((أنّه نظر إلى رجلٍ له ابنان، فقبّل أحدَهما وترك الآخر، فقال النبيّ: هلّا ساويتَ بينهما))[٣]، وقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: ((عليكَ بلزومِ الحلال وحسنِ البرِّ بالعِيال، وذِكرِ الله في كلّ حال))[٤].

وتأكيدًا على أنّ قواعد السلوك من المفترض أن يكتسبها الإنسان تلقائيًّا من المنزل، أي: من الأبوين أو من يقومُ مقامهما قولُ الإمام الرضا عليه السلام: ((ومُرِ الصبيَّ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٣٨.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.
(٣) م. ن: ٢٢٠.
(٤) غرر الحكم: ٤٤٦.

فليتصدّق بالكِسرة والقبضة...))[1]، وهكذا تصبح الصدقةُ عادةً لدَيه، قبل أن تكون فريضةً.

يجب أن يكون الأبوان (والمربّون عامّةً) قدوةً لأبنائهم، وهذا واجبهم، لكن إن لم يكونا قدوةً، وتبيّن للولد بعدَ أن نما عقلُه، ووجد له قدوةً غيرَهما: نبيًّا أو إمامًا أو معلّمًا، أنّهما غيرُ جديرين بالطاعة، توجّبَ عليه أن يختطَّ لنفسه طريقًا غيرَ طريقهما، وفي هذه الحال وصّاه الله عزّ وجلّ بوالديه إنسانيًّا أن لا ينساهما كما تنسى البهائمُ والديها، وأنْ يرعاهما ولا يقول لهما إلّا قولاً حسنًا ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

إنّ السنوات الأربعة عشرة الأولى مرحلةٌ أساسيّةٌ ومفصليّةٌ في تربية الإنسان، فهي تتضمّن الكثير من المقدّمات التحضيريّة التي يتّخذ فيها الإنسان شخصيّةً أوّليّةً تكونُ العاملَ المؤثّر في النموّ الحياتيّ المستقبليّ، لذلك يجب حسبانُها مرحلةَ التمهيد للتربيّة النهائيّة، ويجب أن تكون مقدّمةً لمرحلة ما بعد البلوغ؛ فالتدريب على العبادات من دون فرضٍ قبل عمر التكليف، يهوّن التزام البالغ بها، ونحن نلاحظ بيننا أشخاصًا متديّنين لكنّ أخلاقهم سيّئة، لماذا؟ لأنّ أنماط السلوك وحسن الخلق تُكتسبُ في مرحلة الطفولة؛ وقليلون الذين تمكّنوا من التخلّي عن العادات وأنماط

(١) الكافي: ٤/ ٣٠.

السلوك التي وسمهم بها آباؤهم وأمهاتُهم، ولا معنى للتدّين إن لم يقترن بمكارم الأخلاق.

ما هي أبعاد العمليّة التربويّة؟

إنّ التربية يجب أن تركّز على تنمية الجسم والروح والعقل، وأيّ تقصيرٍ أو إخلالٍ في تهذيب أحد هذه الأبعاد الثلاثة، سيخلُّ حتمًا بتوازن شخصيّة الإنسان؛ وقد وردت أحاديث ووصايا تتعلّق بالتغذية والرعاية وكلّ ما يساهم في حفظ الجسم وسلامته؛ وقد رُويَ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((علّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل))[١]، وفُرضت أعمالٌ تهدف إلى تقويةِ النفس والتغلّب على الشهوات، وقد رُوي عن الإمام الحسين وعن الإمام الصادق (عليهما السلام) القول: ((الصبرُ: الصومُ / الصيام))[٢]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله عزّ وجلّ حرس عبادَه المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيّام المفروضات تسكينًا لأطرافهم وتخشيعًا لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضًا لقلوبهم))[٣]؛ فالصومُ ليس اجتناب الطعامِ والشراب فحسب؛ إنّما هو الابتعاد عن المحرّمات كافّةً، ممّا يدعمُ الإنسانَ في مواجهته لنفسه، ويجعلُه قادرًا على السيطرةِ على شهواته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الصيام: اجتنابُ المحارِم كما يمتنعُ الرجل عن الطعام والشراب))[٤]، وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((معاشَر الشباب من استطاع منكم الباءَةَ فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنّ الصومَ له وِجاء))[٥]، وعن

(١) الكافي: ٦/ ٤٧.
(٢) م. ن: ٤/ ٦٣، و وسائل الشيعة: ١٠/ ٤٠٧.
(٣) نهج البلاغة: ٢٤٩.
(٤) بحار الأنوار: ٢٩٤.
(٥) قرب الإسناد: ٣/ ٢٩٠.

الرضا عليه السلام: ((... علّةُ الصومِ لعِرفان مسِّ الجوع والعطش؛ ليكون ذليلاً مستكينًا، محتسبًا، صابرًا... مع ما فيه له من الانكسار عن الشهوات))[١]، وثمّة توصيات كثيرة بخصوص تذكية العقل وتقويته، بعضها له جوانب ماديّة، وبعضها له جوانب معنويّة، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((أدب العلماء زيادةٌ في العقل...))[٢]، أي أنّ مجالسةَ العلماء وتعلّم آدابهم، والنظر إلى أفعالهم وأخلاقهم موجبةٌ لزيادةِ العقل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا: (ذكِّ عقلك بأدبٍ كما تُذكّى النارُ بالحطب))[٣]، وقال عليه السلام: ((إذا كان الآباءُ هم السببُ في الحياة، فمعلّمو الحكمةِ والدين هم السببُ في جودتِها))[٤].

مراعاة الفروق الفرديّة:

لقد راعت وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الأئمّة عليهم السلام من بعده أمرًا مهمًّا في عمليّة التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويّون اليوم (مراعاة الفوارق الفرديّة وقدرات المتربّين واستعداداتهم).

في مرحلة الطفولة الأولى أو السنوات السبع بحسب وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام يكون الوالدان هما المسؤولان عن تربية الطفل وتوجيهه وتعليمه، يساعده في مجتمعاتنا نحن الجدّان والأخوة الكبار والأقارب والمربّون في دور الحضانة (غير المؤهّلين لهذه المهمّة الصعبة في معظم الأحيان) هذه السنوات هي التي تحدّد شخصيّة الطفل كثيرًا؛ لذلك فإنّ المحبّة الصادقة والحقيقيّة للأطفال وهدايتهم وتوجيههم برفقٍ، من دون تعنيف، ومن دون إجراء مقارنات بينهم وبين غيرهم من

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ١٧٣.
(٢) بحار الأنوار: ١/ ١٤١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٣٨.
(٤) م. ن: ٤/ ٥٣٢.

الأطفال أمرٌ شديد الأهميّة يساعد على تنمية ثقتهم بأنفسهم.

وفي مرحلة الطفولة الثانية (من السابعة حتّى الرابعة عشرة) يتوجّب على المربّين (الأهل والمعلمين) الانتباه إلى الجوانب والصفات التي تميّز طفلًا من آخر، مثل؛ وضع البدن وشكله، القبح والجمال، والسلامة والاعتلال؛ وكذلك الحالة الذهنيّة والفكريّة: مستوى الذكاء والقدرة على التحليل والاستدلال، وقوّة الحافظة أو النسيان، وتشتّت الحواس، والقدرة على التركيز، ومستوى العلاقة بأقرانه، والإحساس بآلام الآخرين، أو إظهار اللامبالاة...

وكلام الإمام الصادق عليه السلام حول ضرورة ملاحظة قدرة المتربّي واستعداده، لا يدع مجالًا للشكّ أو التشكيك حول ضرورة مراعاة الفوارق الفرديّة؛ لأنّ حظوظ الناس ومستوياتهم مختلفة، وأنّ تكليف ذي الحظّ الأوفر لا ينبغي أنْ يُلقى على من هو أدنى منه، وعن مستويات الذكاء والقدرة على الاستيعاب عند الأفراد، يقول عليه السلام: ((إنّ منَ المسلمين من له سهمٌ ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثةُ أسهُم ومنهم من له أربعةُ أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستةُ أسهم، ومنهم من له سبعةُ أسهمٍ، فليس ينبغي أن يُحمَلَ صاحب السهمِ على ما عليه صاحبُ السّهمين، ولا صاحب السّهمين على ما عليه صاحبُ الثلاثة، ولا صاحبُ الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحبُ الأربعة على ما عليه صاحبُ الخمسة، ولا صاحبُ الخمسة على ما عليه صاحبُ السّتّة، ولا صاحبُ الستّة على ما عليه صاحبُ السّبعة...- وبعد ذلك روى لمخاطَبيه قصّة ذلك الرجل الذي كان له جارٌ نصرانيٌّ -، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له، فأجابه، فأتاه سُحَيرًا فقرع عليه الباب، ودعاه إلى مرافقته إلى المسجد لصلاة الفجر، ومكثا في المسجد حتّى الصباح، ومنعه من العودة إلى منزله بانتظار الصبح فالعصر، فالمغرب، فالعشاء.

في اليوم الثاني، حين قرع بابه ليدعوه إلى الصلاة: قال له: أطلب لهذا الدين من هو أفرغُ منّي وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخَلَه في شيءٍ أخرجه منه))[1].

إنّ بقاء المجتمع متوقّفٌ على وجود أفراد مختلفين، ذوي تنوّع رجالًا ونساءً يكمّل بعضُهم بعضًا من حيث القدرات الجسديّة والعقليّة والفكريّة، والماديّة والمعنويّة، والروحيّة والعاطفيّة، والعِرقيّة... ولولا ذلك لتوقّفت عجلة المجتمع، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوَوا هلكوا)) [2]، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ((إنّ الإيمان عشرُ درجات بمنزلة السلّم، يُصعد منه مِرقاةً بعد مِرقاة، فلا يقولَنَّ صاحبُ الاثنين لصاحبِ الواحدِ، لستَ على شيء، حتّى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقِط من هو دونَك، فيُسقِطُكَ من هو فوقَك، وإذا رأيتَ من هو أسفلُ منكَ بدرجةٍ فارفعه إليكَ برفقٍ، ولا تحمِلنَّ عليه ما لا يُطيقُ فتكسِرَهُ، فإنَّ من كسَر مؤمنًا فعليه جَبْرُه))[3]، ما من كلام أدلُّ من هذا الكلام على ضرورة مراعاة قدرات الأشخاص والرفق بهم في مسار تعليمهم وإرشادهم وتربيتهم وتعديل سلوكهم.

إنّ مردّ تفرّد شخصية الإنسان يعود إلى عوامل عديدة: جسديّة ونفسيّة وعقليّة، فلا ينبغي أن تكون أمور تعليمهم وتربيتهم في مستوًى واحد وسرعةٍ واحدة ومقدار واحد، ولدى معلّم واحد، هذا ما تنبّه له المربّون في القرن العشرين في الغرب، لكنْ في بلداننا لا الأهل متنبّهون إلى هذا الأمر ولا المدارس.

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٤.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٨٠.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٥.

في هذا السياق يحدثنا القرآن الكريم في سورة الكهف عن قصّة موسى عليه السلام والعبد الصالح أحد أصحاب المعارف والعلوم، والعالم بـالأسرار، يطلب موسى عليه السلام إليه أن يرافقه ليتعلّم منه، لكنّ العبد الصالح يقول له: إنّه لن يستطيع معه صبرًا، فيتعهّد له موسى أن يصبر ولا يعصي له أمرًا، لكنّه في المواقف المختلفة ينتقد معلّمَه؛ لأنّه لم يحتمل الحقائق المخفيّة والمعقّدة واكتفى بظواهرها، ولم ينتظر تأويلها؛ فإذا كانت هذه حال أحدِ الأنبياء، فكيف بسائرِ الناس؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((ما كلّمَ رسولُ الله العبادَ بكنهِ عقله قطّ... وقال صلى الله عليه وآله: إنّا - معاشِرَ الأنبياءِ- أُمِرنا أنْ نكلّم الناسَ على قدرِ عقولِهم))[1]، وهذا الحديث تأكيدٌ على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطَبين العقلي وقدرة كلٍّ منهم على استيعاب ما يُلقَّنَهُ، كبيرًا كان أم صغيرًا، والصغير حتمًا أولى بالعنايةِ، والاهتمام به فردًا مستقلًّا عن الآخرين: إنسانيًا ومِزاجيًّا وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلًا فرضَ نمطٍ تعليميٍّ أو تخصّصيّ كانوا هم يحلمون به، على ولد غير مؤهّلٍ له؛ وفي الوقت نفسه لا يعني أن يُترك له الحبلُ على غارِبِه.

الثواب والعقاب في التربية:

إنّ الإسلام كما ورد في النصّ القرآني وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام يرى أنّ الإنسان كائنٌ حرٌّ مختارٌ، وهبه الله تعالى نعمة الوجود والحياة والعقل، كما وهبه صفة الحريّة الفطريّة والوجدانيّة، التي تمثّل بالنسبة إليه الرسول الباطن، ومن يفتقد هذا الميزان الفطريَّ والمعيارَ الإلهيّ، يخرج من دائرة التشريع والتكليف وهنالك قاعدة عقليّة قرآنيّة تنصّ على تقدّم البيان والموعظة على التكليف ليستحقّ الإنسان

(١) الكافي: ١/ ٢٣.

الثواب والعقاب على أعماله الاختياريّة، وهو ما يُعبَّر عنه بما اصطلح العلماء على تسميته بـ(قبح العقاب بلا بيان)، فضلًا عن أنّ القرآن قد صرّح برعاية هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

إذًا يُحاسَبُ الإنسان على أساس الفطرةِ السليمة، وعلى أساس ما وهبه الله من عَقل؛ ويُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((العقلُ شرعٌ من داخل، والشرع عقلٌ من خارج))[1]؛ وهذا ما يُسمّى في علم أصول الفقه (قاعدة الملازمة) التي يُقصد بها أنّ: ((كلّ ما حكم به العقل حكمَ به الشرع))[2]، وعلى أساس ما أوحى الله به إلى أنبيائه

(١) مجمع البحرين: ٥/ ٤٢٥.
(٢) مطارح الأنظار: ٢/ ٣٤٤.

وبلغوه هم للناس. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((أيّها الناس إنّ آدم لم يلد عبدًا ولا أمةً، وإنّ الناس كلّهم أحرار))[١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((العملُ الصالح من العبدِ بفعله والله به أمرَه، والعملُ الشرُّ من العبد بفعله والله عنه نهاه))[٢]، إنّ الإنسان الحرّ هو الذي يختار ملذّات الدنيا ونعيمها أو رضوان الآخرةِ وسعادتَها؛ لذلك لا بدّ في عمليّة التربية للإنسان منذ طفولته أنْ يُربّى على أنّه حُرٌّ في اختياره، وأنّه قادرٌ على ذلك، وأنّ بإمكانه أن يحدّد مصيره بنفسه وقدرته وإرادته، وذلك بواسطة القصص والأمثال والإشارات اللطيفة؛ فالله جلّ وعلا لم يشأ إجبار الناس على الإيمان والعبادة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمّد، ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كلُّهم جميعًا، على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا... ولو فعلتُ ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثوابًا ولا مدحًا، لكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غيرَ مضطّرين، ليستحقّوا مني الزّلفى والكرامةَ ودوامَ الخلود في جنّة الخلد))[٣].

إذًا الواجب تنمية عقل الإنسان، منذ مرحلة الطفولة كما ذكرنا من قبل، والتدرّج في التعاليم الموحى بها إلى نبيّه صلى الله عليه وآله، ليسلك بكامل اختياره الطريق الذي يستهويه، إمّا الصراط المستقيم، وإمّا المليءِ بالحفر المؤدّي إلى الضلالة والغواية؛ فإمّا أن يرتفع إلى مصافّ الملائكة أو يهبط إلى مصافّ الوحوش والشياطين.

إنّ الله تعالى قد خيَّر عباده بين قبول الهدايةِ أو الإعراض عنها، وعلى المربّين أيضًا، أنْ يؤدّوا ضمن عمليّة تعليم الأطفال والفتيانِ وتربيتهم دورَ من يمهّدُ الطريقَ

(١) الكافي: ٨/ ٦٩.
(٢) الآداب الدينية: ٢/ ٣٤١.
(٣) التوحيد: ٣٤٢.

للسالكين فيه، لا من يُجبر الناس على سلوكه، ومَن يرشدهم بما لا بدّ منه من البيان والمساعدة؛ لتكون المسؤوليّة تاليًا على المتربّين أنفسهم ليختاروا الطريق الصحيح.

التربية غير المباشرة قبل التأديب المباشر:

هنالك طريقتان للتربية والهداية جرّبها المربّون (الأهل والمعلمون) هما: التربية المباشرة والتربية غير المباشرة؛ أمّا نظام التربية الإسلاميّة كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين عليهم السلام فهي أسلوب التربية غير المباشرة لأغلب المتعلّمين، وذلك بتوجيه الخطاب إلى غير المخاطب الأصلي.

تندر في القرآن الكريم طريقة التذكير والتنبيه التي تتوجّه مباشرةً إلى فردٍ مخاطَب حيٍّ أو معاصرٍ وتذكر اسمه، والغالب أنّه عند توبيخ بعض الأمّة أو الثناء عليهم، إمّا أن يسوق خطابه بنحوٍ عام ناظرًا إلى صنفٍ أو طائفةٍ من تلك الجماعة كالمؤمنين أو المشركين أو المنافقين؛ ليبقى المخطئ مجهولًا وفي الوقت نفسه يطّلع على خطئه، وقد عُبّر عن هذا الأسلوب في الأمثال العربيّة بالكلمة المشهورة: ((إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة))، وهذا المثال يُضرب لمن يتكلّم بكلام وهو يريد غيرَه[1]، وقد ورد الحديث عن هذا الأسلوب غير المباشر في النص القرآنيّ في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة))[2]؛ وفي قول الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: ((قال المأمون، فأخبرني عن قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ ؟ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نُزّل بإيّاكِ أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه وأراد به أمَّتَهُ، وكذلك قولُه تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ

(١) ينظر: مجمع الأمثال: ١/ ٤٩.
(٢) الوافي: ٢/ ٦٣١.

كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[١]، وفي هذا السياق تأتي أهميَّة الأمثال والحكايات والقصص في العملية التربوية، فالقرآن نفسه يفخر بجماله وكماله بالقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، و ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

إن الله عزّ وجلّ يريد من عباده أن يفكّروا فيما ضرب من أمثالٍ، وأن يُعملوا عقولهم ليتذكّروا موروثات فِطرتهم، فنظرة عميقة في بعض الأمثال القرآنيّة توضّح هذا المبدأ؛ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وفي سورة لقمان نشهد قمّة التعاليم والإرشادات القرآنيّة في مجال تربية الأبناء؛ وقد كان للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام تمثيلات مبدِعة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((مثَلُ الذي يتعلّمُ العلمَ في صغره كالنّقش على الحجر، ومثل الذي يتعلّم العلمَ في كِبَره كالذي يكتبُ على الماء))[٢]، وقول الإمام الباقر عليه السلام: ((مَثَلُ الحريص

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٠٢.

(٢) منية المريد: ٢٢٥.

على الدنيا مَثَلُ دودةِ القزّ، كلّما ازدادت من القزِّ على نفسها لفًّا، كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمًّا))[١]، وقول الإمام الصادق عليه السلام: ((مَثَلُ الدُّنيا كمثَلِ البَحرِ المالح، كلّما شربَ العطشانُ منه ازدادَ عطشًا حتّى يقتلَه))[٢].

من أساليب التربية غير المباشرة التي اهتم بها القرآن الكريم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام مسألة التأديب والهداية بأسلوب القصص لأخذِ العبرة: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩-١٠٠]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:٣]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إنّ القصص القرآني حين تُعاد كتابته بأساليب مختلفة وتُصنع منه أفلامٌ وتمثيلياتٌ تناسب الصغار، وتناسب الكبار، وكذلك اعتماد القصص المصوّرة والأفلام والمسرحيّات لمختلفِ الدروس والمواضيع التي يريد المعلمون والمربّون أن يوصلوها إلى الصغار والكبار، مع ضرورة الالتزام بالقواعد والضوابط العقليّة والعلميّة والدينيّة والأخلاقيّة، للتعريف بأيٍّ من الشخصيّات التي يمكن أن

(١) الكافي: ٢/ ٣١٦.
(٢) الزهد: ٤٨.

تكون قدوةً للناس من مختلف الأعمار، الشخصيات الأفضل والأعلم من الماضي والحاضر، والتعريف كذلك بالشخصيات الأسوأ لتبيان ما أصابهم بسوء عملهم، ولتجنّب اتّباع الطرق التي يمكن أن تؤدّي بالإنسان ليُصبح مثلهم.

[يحضرني في هذا السياق أنْ أذكّر أننا نحن الكبار في السنّ الذين تعلّمنا بطرق متخلّفة جدًّا، لم نستفد مما لُقِّنَاهُ في دروس التاريخ في المدرسة، في حين أنّ ما قرأناه صغارًا في الروايات التاريخيّة ما يزال ماثلًا في أذهاننا].

تربويًّا، سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيّين في تأكيده على أهميّة التعليم من خلال التمثيل والقصص؛ وفي تجربتنا في تعليم الأطفال من خلال القصص، وجدنا أنّ القصّة توصلُ ما نريد إلى الأطفال بشكلٍ مؤثّر ومسلٍّ، ومن خلال القصص يمكننا أنْ نوصل إلى الصغار والكبار الإرث الثقافيّ بأكمله على شكل حكاياتٍ تهب الحياةَ معناها الأمثل. إنّ الحكايات والأساطير هي الأكثر جاذبيّة، فالطفل يرى نفسه في كلّ المعارك التي يخوضها البطل كأنّه يواجه معه المشاكل والمتاعب، ويحقّق معه النصر، فيؤمن أنّ الفضيلة هي المنتصرة دائمًا، وهذا ما يهب الطفل ثقةً بالنفس، وهو يستعيد في داخله كيفيّة مواجهة البطل للمشاكل التي واجهته. إنّ القصة تعلّم الطفل أنّ مواجهة المشاكل في الحياة أمرٌ لا بدّ منه، وهو جزءٌ طبيعيٌّ من حياة الإنسان، وأنّ الإنسان إن لم يتراجع ويتخاذل وبقي ثابتًا على موقفه، وأصرَّ على مواجهة المشاكل وتخطّي الصعاب والمتاعب غير المتوقّعة والظالمة في معظمها فإنّه لا بدّ منتصرٌ في النهاية.

الخاتمة:

١. حين نستقرئ تعاليمَ القرآن والسنّة النبويّة الصّحيحة، وما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، نستنتجُ أنّ عمليّةَ التربية والتعليم في الإسلام عمليّةٌ مستمرّة من المهدِ إلى اللحد، وأنّ التربية والتعليم مترابطان مفهوميًّا ترابطَ العلَّةِ والمعلول، فالتربية لا يمكن أنْ تتحقّق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وهذه العمليّة تبدأ قبل الولادة، لأهمّيّة العامل الوراثيّ؛ لذلك جرى التأكيد على تحريم العلاقات غير الشّرعيّة تحريمًا قاطعًا، وكذلك التأكيد على اختيار الأكفاء في الزواج؛ وعمليّةُ التربية والتّعليم عمليّةٌ مستمرّةٌ لا انقطاع لها في مختلِف مراحل العمر، وتقع على عاتق الأهلِ والمعلمين والعلماءِ والمصلحين، كما أنّها تقع على عاتق الفرد العاقل، الذي يحثّه القرآن على تعديل سلوكه بنفسه.

٢. من خلال وصايا أمير المؤمنين عليه السلام نستنتج أهمّيةَ دور الأهل في السنوات الأربعة عشر الأولى من عمر الولد؛ فالسنوات الأربعة عشرَ الأولى مرحلةٌ أساسيّةٌ ومفصليّةٌ في تربية الإنسان، فهي تتضمّن كثيرًا من المقدّمات التحضيريّة التي يتّخذ فيها الإنسان شخصيّةً أوّليّةً تكونُ العاملَ المؤثّر في النموّ الحياتيّ المستقبليّ؛ لذلك يجب حسبانُها مرحلةَ التمهيد للتربيّة النهائيّة، ويجب أن تكون مقدّمةً لمرحلة ما بعد البلوغ، فالتدريب على العبادات من دون فرضٍ قبل عمر التكليف، يهوّن التزام البالغ بها.

٣. من واجب الأهل في تدريب الطفل على حسن السلوك منذ الصغر، أي: تربيته أخلاقيًّا ودينيًّا، بتقليل المواعظ والأوامر والنّواهي، وبالكثير من الحبّ والعطف والممارسة، وبأن يكونوا قدوةً له في كلّ ممارساتهم، من أبسط التعاليم إلى أصعبها.

٤. من الواجب تربية الطفل وتدريبه على نحوٍ يكونُ فيه حرًّا مختارًا ذا إرادةٍ، يمكنه

أن يميّز بين ما يجب فعله، وما يجب تركه. إنّ عمل الأهل والمربّين في الطفولة الأولى على تنميةِ العقل والإرادة لدى الأطفال، هو أهمّ عملٍ يقومون به: فمبدأ الإرادة الحرّة فطرةُ جميع البشر، وهي عطيّةٌ كريمةٌ من الخالق جلّ وعلا، وسلبُ هذه الإرادة (إن استُخدمت أساليبُ تربويّةٌ قمعيّة في المنزل أو في المدرسة في مرحلة الطفولة) سيؤدّي حتمًا إلى مسخ هُويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فالله عزّ وجلّ لا يُحاسِبُ إلّا الإنسانَ العاقلَ الحرّ المختار: إنّ الإنسان الحرّ هو الذي يختار ملذّاتِ الدنيا ونعيمَها أو رضوانَ الآخرةِ وسعادتَها، لذلك لا بدّ في عمليّة التربية للإنسان منذ طفولته أنْ يُربّى على أنّه حُرٌّ في اختياره، وأنّه قادرٌ على ذلك، وأنّ بإمكانه أن يحدّدَ مصيرَه بنفسه وقدرته وإرادتـه، وذلك بواسطة القصص والأمثال والإشـارات اللطيفة؛ فالله جلّ وعلا لم يشأ إجبار الناس على الإيمان والعبادة.

٥. لقد سبق القرآن الكريم تربويًّا علماءَ النّفس وعلماءَ التّربية الغربيّين في تأكيده على أهمّيّة التعليم من خلال التّمثيل والقصص، وفي تجربتنا في تعليم الأطفال من خلال القصص، وجدنا أنّ القصّة توصلُ ما نريد إلى الأطفال بشكلٍ مؤثّر ومسلٍّ، ومن خلال القصص يمكننا أنْ نوصل إلى الصغار والكبار الإرثَ الثقافيّ بأكمله على شكل حكاياتٍ تهب الحياةَ معناها الأمثل.

٦. راعت وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الأئمّة عليهم السلام من بعده أمرًا مهمًّا في عمليّة التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويّون اليوم (مراعاة الفوارق الفرديّة وقدرات المتربّين واستعداداتهم).

٧. إنّ الأحاديث لاسيّما أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام تؤكّد على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطَبين العقلي وقدرة كلٍّ منهم على استيعاب ما يُلقَّنَهُ، كبيرًا كان أم صغيرًا، والصغير حتمًا أولى بالعنايةِ، والاهتمام به فردًا مستقلًّا عن الآخرين:

إنسانيًا ومِزاجيًّا وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على الإطلاق مثلًا فرضُ نمطٍ تعليميٍّ أو تخصّصيّ على ولد غير مؤهّلٍ له، وفي الوقت نفسه لا يعني هذا الكلام أن يُترك له الحبلُ على غارِبِه.

٨. إنّ الهدف النهائيّ للتربية إن نحن اتّبعنا تعاليمَ القرآن وتعاليمَ المعصومين عليهم السلام هو خلق مواطنين صالحين وأشخاصًا أسوياء؛ ولأجل ذلك يجب اعتماد كلّ طريقةٍ أو وسيلةٍ تجعل الطفل إنسانًا قادرًا على التمييز بين الخير والشرِّ، بين الصحيح وغير الصحيح، من أبسط الأمورِ إلى أشدّها تعقيدًا، وذلك بأن لا نلجأ إلى عقابه على أعمال لا يعرف نتائجها، أو أن ندخله مدرسةُ أو حضانةً تكون سجنًا له، يعامل فيها كالراشد، يُقمع ويُعاقب فيتحوّل في ما بعد إلى إنسانٍ ضعيفٍ مسلوب الإرادة، يعيش خوفًا دائمًا من عقاب الأبوين أو من عقاب المعلّمين، أو من عقاب الله عزّ وجلّ كما يفعل بعض معلميّ التربية الدينيّة، أو يتحوّل إلى إنسانٍ متمرّدٍ متحدٍّ للقيم.

٩. إنّ الطفلَ المحبوبَ غيرَ المعنّف لا يكذب، وإن نحن ربّينا طفلاً لا يكذب، نكون قد صنعنا رجلاً أو امرأةً مثاليّين، لأنّ الكذبَ هو أساسُ كلّ رذيلة.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. الأمالي، محمد بن محمد المفيد، تح: حسين استاد ولي وعلي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٣. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: علي هلالي وعلي سيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

٥. تفسير العيّاشي، محمد بن مسعود العياشي، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران، ط١، ١٣٨٠ هـ.

٦. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، تح: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم، ١٤٠٩ هـ.

٧. تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، بيروت، ط٣، ١٣٣٩ هـ.

٨. تفسير نور الثقلين، عبد علي العروسي الحويزي، تصحيح: السيد هاشم رسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم، ١٤١٥ هـ.

٩. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٩هـ.

١٠. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تح: حسن الموسوي خرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.

١١. التوحيد، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: هاشم الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم، ١٣٩٨ هـ.

١٢. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، دار الشريف الرضي للنشر، قم، ١٤٠٦ هـ.

١٣. الخصال، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: علي أكبر غفارى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣ هـ.

١٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

١٥. دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبريّ، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ط٣، ١٣٨٣هـ.

١٦. الزهد، حسين بن سعيد الكوفي الأهـوازي، محقّق/ مصحّح: غلام رضا عرفانيان يزدى، المطبعة العلمية، قم، ١٤٠٢ هـ.

١٧. سنن ابن ماجة، ابن ماجة القزويني، (لا ت)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٨. شرح مصباح الشريعة، زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني، المترجم: عبد الرزاق الكيلاني، تح: محمد بن حسين آقا جمال الخوانسارى، بيام حق للنشر، طهران، ١٣٧٧ شـ، ١٩٩٨م.

١٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٠. شهاب الأخيار، محمد بن سلامة القضاعي، تح: جلال الدين الحسيني الأرموي (المحدث)، المركز العلمي والثقافي للنشر، طهران، ١٣٦١ش.

٢١. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١ م.

٢٢. الصحيفة السجاديّة، زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، دار الهادي للنشر، قم، ١٤٣٤هـ.

٢٣. الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٤. العُدَدُ القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف الحلي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٨ هـ.

٢٥. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن زين الدين بن أبي جمهور، تح: مجتبى عراقي، دار سيد الشهداء للنشر، قم، ١٤٠٥هـ.

٢٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط٢، ١٤٠٩ هـ.

٢٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، تح: مهدى لاجوردى، دار الجهان للنشر، طهران، ١٣٧٨ هـ.

٢٨. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، تح: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلاميّة، قم، ١٤١٠هـ.

٢٩. قرب الإسناد، عبدالله بن جعفر الحميري، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤١٣هـ.

٣٠. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندى، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ هـ.

٣١. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٢. كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٣٣. لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ، تح: جمال الدين ميردامادى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٣٤. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقى، تح: جلال الدين محدث، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٣٧١هـ.

٣٥. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٣٦. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مطبعة الميمنة، مصر، ١٣١٣هـ.

٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط٢، ١٤١٤ هـ، ١٩٨٢م.

٣٨. مطارح الأنظار، مرتضى الأنصارى، مقرّر: أبو القاسم بن محمد بن علي كلانترى نوري، تح: لجنة التحقيق تراث الشيخ الأعظم، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٣٣٨ش.

٣٩. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، شركة العالمية، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٤٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن زكريا بن فارس الرازي، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٤١. معدن الجواهر ورياضة الخواطر، محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي، تح: أحمد حسيني، المكتبة المرتضوية، طهران، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٤٢. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، دار الشريف الرضي للنشر، قم، ط٤، ١٤١٢ هـ.

٤٣. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه الصدوق، محقّق ومصحّح: علي أكبر غفارى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.

٤٤. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، الشهيد الثاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.

٤٥. نهج البلاغة، محمد بن حسين الشريف الرضي، تح: صبحي الصالح، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.